التحوّلات الزمنية
لجملة النعت الفعلية في النصّ القرآني

أ.م.د. حيدر عودة كاطع كليَّة الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلام ية الجامعة/ قسم الشريعة/ البصرة
lecbasra23@alkadhum-col.edu.iq

ملخّص البحث:

يحــاول البحث عند دراســته التحوّلات الزمنية للجمــل الوصفية في القرآن الكريم إيجاد البدائل المناســبة للعملية التواصلية بــين المتخاطبين، وهذ هي الغاية – أعنــي التواصلية – من وراء التعبير عــمّا يختلج في صدور المبدعين، متكلمين كانوا أم كاتبين، وفي اللغات كلها.

فالبحث محاولة لاستبدال التحوّل الزمني للجملة الوصفية بالتأويل الافرادي المشــتق للخلاص من ظاهرة التأويلات بدعوى المشابهة بين الفعل والمشتق، فجملة الوصــف في العربية قد حقّقت ثباتاً واســتمراراً بمجرد وقوعها نعتاً للاسم النكرة بعد أَنْ استمدّت هاتين الصفتين من المنعوت لا من نفسها كون الوصف في العربية وظيفة آلية فيخضع خضوع العبد للمنعوت وجوداً وبقاءً؛ ومن هنا فلا داعي للذهاب بعيداً عن وصفية اللغة لفرض المشــابهة الاسمية بين جملة النعت وبين المشتق المفرد حين يُلوى عنق الجملة لتؤول بالمشتق؛ كون المشــتق المفرد يحمل معنى الثبوت والــدوام، وكان الأولى أن يصار إلى تجريد

الجملة من زمنيتها الدالة عليه بهيأتها ليبقى مدلول مادّتها وهو الحدث؛ ليؤدّي العملية الوصفيــة كما يحلو للمنعوت أَنْ يوظِّفه، وهــذا الأمر خفيف المؤونة وســهل الانقياد وسريع الخطى؛ كون الزمن في الفضاء الســياقي يعطي بُعداً فضفاضــاً عصيّاً على القولبة والتقنين، ينفلت مــن بين يدي الصيغة الصرفية انفلاتــاً سريعاً فيبقيها في كثــير من الأحيان خاليةً منه كــما هي الحال في جملة النعت الثبوتية الاستمرارية غير المتزمنة.

الكلمات المفتاحيَّة: التحوّلات الزمنية، جملة النعت، النص القرآني

Temporal shifts of the verbal adjective sentence in the Qur’anic text

When studying the temporal shifts of the descriptive sentences in the Holy Qur’an, the research tries to find appropriate alternatives for the communicative process between the interlocutors, and this is the purpose - I mean communicative - behind expressing what stirs in the hearts of creators, whether they are speakers or writers, and in all languages.

The research is an attempt to replace the temporal shift of the descriptive sentence with the individual interpretation derived for salvation from the phenomenon of interpretations under the pretext of similarity between the verb and the derivative. The subjection of the slave to the divine being and survival; Hence, there is no need to go far from the descriptive language to impose the nominal similarity between the adjective clause and the singular derivative when the neck of the sentence is twisted to be interpreted by the derivative; The fact that the singular derivative carries the meaning of steadfastness and permanence, and it would have been better to strip the sentence

of its temporality that indicates it in its form, so that the meaning of its substance remains, which is the event; to perform the descriptive process as the descriptor likes to employ it, and this matter is light in supply, easy to obey, and fast - paced; The fact that time in the contextual space gives a loose dimension that is difficult to mold and ration, escapes from the hands of the morphological formula quickly, leaving it often free of it, as is the case in the participle participle of the non - tense continuity.

Keywords: Temporal shifts, adjective phrase, Qur'anic text

مقدمة

تتمثّل ظاهرة التحوّل الدلاليّ فضاءً رحباً للمتكلِّم، وانفلاتاً واضحاً له من قيد الصيغ الصرفيّة ومحدوديّة الدلالة التي تنسجم مع بنيتها، فهي تعطي مساحة واسعة بما تشكّله من تمثّلات وظيفيّة اعتماداً على قدرة المتكلِّم في تمكّنه من صهوة الاستعمال، متعكّزاً في النسج الجديد على السياق التركيبي، بوصفه قرينةً مهيمنةً تمتاح من التعانق اللفظي بين المفردات بعد تعليقها بعضها ببعض، وتشبّث بعضها بأعناق بعض؛ لتكّون حينها نسيجاً متماسكاً مترابطاً يبتني على مجموعة من العلاقات الدلاليّة لتشكيل نصٍّ معيَّنٍ، يكون فيه لمقصديّة المتكلِّم الحرّيّة التي تمكّنه من التنوّع الدلاليّ؛ حتى لو كان ذلك خروجاً على الدلالة الصرفيّة، ما دام الاستعمال لا يمنع هذا التحوّل السياقيّ، وما دام لا يفضي هذا الخروج إلى تصدّع في جسد النصّ أو اللغة، فالتحوّل هو الخروج الانزياحيّ، أَو قل: هو العدول السياقيّ الاستعماليّ القصديّ عن المعاني التي تؤدّيها الألفاظ في المرحلة الوضعية، أَو هو تخطّي معيارية التقنين النحويّ للوصول إلى المعنى المراد، ويمكن القول بعبارة أخرى: هو الخروج على الرتابة النحويّة التقليديّة بسلوك سبل جديدة تنسجم مع التوجّهات التي يبتغيها المتكلِّم، حين تكون قواعد التعاون التي تتطلّبها استراتيجيّة الخطاب حاضرة بينه

وبين المخاطب، فيحصل المخاطــب على تمام المعنى ويقف على المراد الجِدِّي للباث، بأســاليب تكون القيم التعبيريّة فيهــا متمردة على المألوف، وهــذا ما يجعل النظام اللغوي متماشياً مع المثاقفة المطلوبة جداً عند المتخاطبين؛ لأنّ اللغة هي بيئة الخطاب الاجتماعي لا التراثي.

ولعــل التحوّل الدلالي في البعد الزمني واحد من هذه التمثّلات الدلالية للتعبير عــن الفكرة الزمنية في مرحلــة البناء النحوي، في ضوء التوظيــف الزمني للجملة الفعلية لتشــكّل ملمحاً علائقياً تكميلياً في النسيج التركيبي، عندما تعطي توضيحاً تعريفيــاً أو تخصيصياً لمنعوتها؛ فتــأتي نعتاً بما هي جملة، بعيداً عــن الأدوات الجهيّة التي تضام البنى الصرفية، إذ(تعتبر ظاهرة التحول الدلالي أو ما يســمّى بالانزلاق الــدلالي Semantic Drift شــائعة في طبقات الأفعال) (المــلاخ، 2009: 342)؛ بلا معونة للواصق الجهة الزمنية؛ ذلك لأنَّ الجهات تفرض الزمن المعيَّن لصيغ الأَفعال الصرفيَّة موجوداً؛ لتأتي الجهة بعد ذلك؛ كي تضع المتلقّي أمام المســافة الزمنية قُرباً وبُعداً عن زمن التكلّم؛ بوصفها أدواتاً تسهم في قياس كمية المسافة الزمنية ماضوية كانت أو مســتقبلية من زمن التكلّم، ضرورة أَنَّ الامتداد في الزمن الماضوي يبدأ من الحاضر إلى أبعد مســافة زمنية موغلة في القدم والمسمّى بـ(الأزل)، وهكذا بالنسبة إلى الزمن المســتقبل فهو يمتدّ من الحاضر إلى أعلى نقطة مستقبلية ويسمى بـ(الأبد)، وهذا المعنى ليس مقصوداً هنا في هذا البحث؛ لأمرين:

1 – لما ســيتبين فيما بعد من أَنَّ الزمن قــد يتخلّى عن الصيغة الفعلية عندما يكون الأمر منصبّاً على معنى أعلى من بيان الحالة الزمنية.

2 – الوصف اللغويّ ممّا يتناسب مع الثبوت والدوام، مهما كانت الصيغ الصرفية التي تعبِّر عنه، ومعناهما يتقابل مع المعنى الزمنيّ التجدّديّ.

جملة النعت:

تحمل الجملة بمعناها الاصطلاحي مدلولاً قد يتناسب مع توظيفها في التسوير الوصفي وهي تحلّ محلّ الاسم المفرد – كما يرى النحاة – للتعبير عن الحمولة النعتية، فقد ذكر ابن يعيش(**ت 643 هـ**) أَنَّ الجملة هي بعض الكلام؛ وهو عنده أعمّ من الجملة؛ لأنَّ(الكلام عبارة عن الجمل المفيدة وهو جنس لها، فكلّ واحدة من الجمل الفعلية والاسمية نوع له يصدق اطلاقه عليها) (ابن يعيش، 2001: 1/ 75)، وهذا تفريق منطقي – كما يبدو – معتمد على أساس الجنس والنّوع المنطقييّن، الأمر الذي يجانب ما ينبغي أنْ تكون عليه منهجيّة البيئة اللغوية في تناولها لمسائل اللغة وظواهرها؛ لذلك كان الاسناد عند الرضي(**ت 686 هـ**) أساساً للتمييز بينهما بمعيّة القصديّة، وذلك بقوله: (والفرق بين الجملة والكلام، أنَّ الجملة ما تضمن الاسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ وسائر ما ذكر من الجمل، فيخرج المصدر، وأسماء الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظرف مع ما أسندت إليه. والكلام ما تضمن الاسناد الأصلي وكان مقصوداً لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس) (الاستراباذي، 1975: 1/ 33)، فالإسناد هو الرابطة أو الحكم أو النسبة بين طرفي العلاقة الإسنادية حين يكون فيها الإسناد مراداً أو مطلوباً سياقياً، كالتّضام الاسنادي بين الفعل والفاعل في الجملة الفعلية، وبين المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية.

ومع ما يمثّله الاسناد من وظيفةٍ خطيرة في تشكيل النصوص الابداعية كما يبدو، لكنّه ليس مقصوداً لذاته، بل هو وسيلةٌ للتواصل الخطابي وإيصال المعاني إلى المتلقّين، وهذا المعنى الوظيفي لا يقف عند حدود الجملة بمعناها الاصطلاحي بل ينقاد الكلام لهذه الغاية الآلية، فهو –كذلك – ليس مقصوداً لذاته، فالمبدع حالما ينجز جملاً اسنادية يسعى بها تحقيق الهدفية المرجوّة من الإنشاء وهي الغاية التواصلية

أو الإخطارية مع الآخرين فيخطر المعاني لديهم؛ بدلالة أنَّ المعنى قد يصل بالإشارة فيكـــون بها غنى عن التكلّم، ولعـــلّ هذا المعنى بدا واضحاً في كثير من الســـياقات القرآنية التي تخلو فيها بعص النصوص الشريفة من التعليق الاســـنادي اعتماداً على الوصـــول التام للمعنـــى إلى أذهان المتلقّين، ويكثر هذا الاســـلوب القرآني في آيات الأحكام التي تتضمّن أفعالاً كلاميّةً انجازيّةً، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَـفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، (البقرة: 185) فقد حقَّقت الآية الغاية المرجوّة من النصّ الخطابي بعدما تركت للمتلقّي مساحته الكافية كي يفطر في شهر رمضان حين يكون مريضاً أو مســـافراً على أنْ يقضي ذلك الإفطار في أيّام لاحقة للشهر، فهو فعل انجازي يفهمه المتلقّي بلا إمعان نظر أو توسّل بآليات تفسيريّة لفهم الخطاب، مع أَنَّ الاسم المرفوع بعد فاء الجزاء الذي هو(**عدّة**) جاء مستغنياً عن الاسناد؛ لأنَّ الاسناد بطرفيـــه فرع المعنى ونافذته، أو أنَّه – بعبارةٍ أخرى – واحد من وســـائل فهم النصّ القرآني، والوصول إلى المعنى التفسيري سالماً هي غاية الخطاب النصّي، فما من داعٍ إلى التأويل النصّي لمثل هذه السياقات للتناغم مع القاعدة واحتذائها؛ ولهذا فمن احتاج إلى الإسناد ذهب إلى تأويلها تماشياً مع نظرية الإسناد؛ فقال الزمخشري(**ت 538 هـ**) فيها: فعليه عدّةٌ(الزمخشري، 1998: 1/ 379).

وكان للإســـناد حضور عند بن هشـــام(**ت 761 هـ**) في دراســـته الجملة وجعله إِيَّاهـــا لا ترادف الكلام، بل هي أعمّ منه شـــأنه في ذلك شـــأن ابن يعيش والرضي؛ ذلك لأنّ الكلام هو القول المفيد بالقصد في حين أنَّ الجملة لا يشـــترط فيها القصد ولا الافادة، بل يكفي فيها الاســـناد، فيقال: جملة الصلة وجملة الحال وجملة الوصف (ابن هشـــام، 1404هـ، يُنظر: 2/ 374)، فهي كاللفظ المفرد الخالي من غرض الإفادة وضعاً، بينما يكون الكلام عكسها تماماً (الجواري، 1984، يُنظر: ج4، مجلد 25)، وهو بهذا يساير الرضي لكنّه لم يشر إلى القصدية الذاتية، ومع ذلك فقد وسّع دائرة الجملة عندما قسّـــمها إلى الجملة الكبرى والجملة الصغرى، فالكبرى هي الجملة الاسمية

التي يكون خبرها جملةً، أَو هي الجملة التي تكون بداخلها جملة أخرى (السامرائي، 2007، يُنظَـر: 168)، والصغرى هي الجملة الخبرية (ابن هشـام، 1404هـ، يُنظر: 2/ 380)، واستمرَّ بعد ذلك في تقسيمه الجملة الكبرى إلى الجملة ذات الوجه الواحد والتي يكون صدرها جملة اسمية وعجزها كذلك نحو: السماءُ منظرُهاُ جميلٌ، وذات الوجهين ويعني بها ما تكون اسـمية الصدر فعلية العجز (ابن هشام، 1404ه، يُنظر: 2/ 382) كأن تقول: الكريمُ يكثُرُ عطاؤهُ.

وقـد خالف الدكتور مهدي المخزومي متقدِّمـي النحاة في صورة الجملة بعدما عرّفها بعيداً عن الوظيفة الاسـنادية، معتمداً في ذلك على طبيعتها التواصلية، فهي عنده التصوير اللفظي المعبِّر عن الفكرة، ومؤدّاها أو غايتها أَنْ تعمل على نقل أَفكار المتكلِّمين إلى أذهان السامعين (المخزومي، 1986، يُنظَر: 83).

أَمَّا النعت: فهو تابع يعطي معنى لمتبوعه مطلقاً، وذلك بعد تخصيصه عمَّا سـواه؛ ليكون التخصيص البيئة التي بها يقلّ الاشـتراك التنكيري بين المتبوع وما سواه بآلة الجملـة الوصفيّة (الاسـتراباذي، 1975، يُنظر: 2/ 284)، أو هو أسـلوب نحوي وظيفي يُؤتى به تابعاً لما قبله معنى واعراباً لرفع الغموض والايهام عن الاسم الذي يتبعه؛ ومن هنا فهو ذو وظيفة آلية لا يسـتقل بنفسـه بل بغيره، وهو في العربية من المعاني المفهومة والمعلومة حيث يقتصر في دلالته على معنى الحدث، وذلك إنْ أُريد به الاقتران بمعنى الذات (الجواري، 1984، يُنظر: 4).

وينبغي الوقوف على طبيعة النعت المنسجم مع موضوع الدراسة، وبيان حيثياته العلائقية بينه وبين متبوعه؛ كونه ممّا يحتمل نوعين اثنين من المعاني الصالحة للانطباق على معناه مضموناً لا شكلاً:

1 – النعت بالمعنى الأخصّ: وهذا النوع منه هو ما يتماشى مع ما ذكروه من كلام في بيان حدّه، وهو الصفة التابعة لتعريف ما قبلها من النكرات تخصيصاً.

2 – النعــت بالمعنى الأعمّ: قال الرضي:(الصفة تطلق باعتبارين: عام، وخاص، والمراد بالعام: كل لفظ فيه معنى الوصفية، جرى تابعاً أو، لا، فيدخل فيه خبر المبتــدأ والحال في نحو: زيد قائم، وجاءني زيد راكبــاً، إذ يقال: هما وصفان، ونعني بالخاص: ما فيــه معنى الوصفية إذا جرى تابعــاً، نحو: جاءني رجل ضارب) (الاستراباذي، 1975: 2/ 283)، فالتابعية يتضمّنها النوع الأوّل من النعت المبتني على بيان الصورة الجلية له بمعناه الاصطلاحي عند النحاة، وهذا النوع بعض النعت في معناه الأَعمّي، فتكون بينهما نسبة العموم والخصوص المطلق كالنســبة بين الكلام والجملة، وبهذا المعنى العام يدخل فيه خبر المبتدأ الذي يؤدّي الوظيفة الوصفية لا حقيقتها، ولا يكون تابعاً لسابق؛ كونه عمدة في الكلام، فهو المتمّ مع المبتدأ جملة اســمية والمســتقل بنفسه، وأمّا الحال فهو النكرة الذي يرسم الحالة التي يكون عليها صاحب الحال.

وقد اشتهر بين النحاة أَنَّ الموصوف يكون نكرة فتُلبِسه الصفة تخصيصاً؛ لأنَّ المعرفة تلحقه الحــال لا الصفة، وفرّق بعضهم بين الأمرين إذ ذهــب إلى أَنَّ النكرة يوصف بالنكــرة والمعرفة يوصف بالمعرفة؛ أَي إِنْ كان الموصوف نكرةً كانت الصفة نكرةً وإن كان الموصوف معرفة كانت الصفة معرفة (ابن يعيش، 2001، يُنظر: 3/ 249)، على أَنَّ الصفة يُشترط فيها أَنْ تكون أَعمَّ من الموصوف (الاستراباذي، 1975، يُنظر: 3/ 247)، وقد جوّز الصبّان (**ت 1206 هـ**) وصف المعرفة حين تكون الألف واللام فيه للجنس مستشــهداً بقوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ (يس: 37) (الصبّان، يُنظَر: 3/ 88)، حيث وصفت جملة الفعل المضارع (**نســلخ**) الاسم المعرّف بالألف واللام (**الليل**)؛ لكونه لا يعني وقتاً بعينه بل هو جنس لأفراده كلها.

وهنا يأتي دور الوصف الاسنادي بشقيه الاسمي والفعلي لتأدية الوظيفة النعتية، ويمكن تســميته بالنعت الاســنادي، والذي يؤدي إلى توشــيج التعانق الاسنادي

فحسب، بعيداً عن الافادة والقصدية كما تبيَّن، ويبدو أنَّ أول من أشار إليه من النحاة هو سيبويه(**ت 180 هـ**) بقوله:(إذا كان الفعل في موضع الصفة فهو كذلك، وذلك قولك: أزيدٌ أنت رجلٌ تضربه، وأكلُ يومٍ ثوبٌ تَلْبَسه) (الكتاب، 2004: 1/ 128). وسيُقتصر على الاسناد الفعلي الوصفي بوصفه عنوان الدراسة، مع جزمهم – أعني النحاة – أَنَّ تأثير الوصف بالجملة الفعلية أَقوى من الجنبة التأثيرية للجملة الاسمية؛ كون الجملة الفعلية متضمنة للفعل المناسب –اشتقاقاً – للوصف المفرد كما يؤّلوه، في حين أَنَّ الجملة الاسمية تخلو من المشتق (الصبّان، يُنظَر: 3/ 93)، مع ملاحظة أَنَّ البحث سيدرس النعت بالمعنى الأَعمّ وهو المتضمّن:

1 – جملة النعت بالمعنى الأَخصّ(الجملة الفعليّة الوصفيّة).

2 – الجملة الفعليّة الواقعة خبراً.

3 – الجملة الفعليّة الواقعة حالاً.

1 – الجملة الفعليّة الوصفيّة:

لا شكّ أَنَّ الجملة الفعليّة جملة اسنادية يكون الفعل فيها مسنداً أبداً، ويكون الفاعل مسنداً إليه، وهذا الترسيم الاسنادي لا يفارق الجملة الفعلية حتى لو كانت غير مقصودة، وهي – بوصفها تابعاً للذات المفردة النكرة غالباً – تصطبغ بصبغة النعت المفرد شروطاً واعراباً، فقد ذكروا لها شروطاً ثلاثة:

1 – أَنْ يكون موصوفها نكرةً:

وهذا المعنى يقوي جانب الاسمية فيها كونها تؤدي وظيفة الاسم تأويلاً وحكماً، لا سيما أن بعض النحاة أشار إلى تنكيرها (ابن يعيش، 2001، يُنظر: 2/ 243) مشابهةً بالاسم الذي ستؤول به لاحقاً وذلك في مرحلة الاعراب؛ ولهذا المعنى أشار ابن مالك(**ت672هـ**) بقوله:

وَنَعَتوا بِجُمْلَةٍ مُنْكَرَا فَأُعْطِيَتْ ما أُعْطِيَتْهُ خَبَرَا

(ابن عقيل، 1964، يُنظر: 3/ 195)

ولَّما كانت نكرة فليس لها الشأنية أن تكون وصفاً للمعرفة كونها حديثاً (ابن يعيش، 2001، يُنظَر: 2/ 243)، وكان ابن الحاجب(**ت 646 هـ**) قد ذكر هذا المذهب التأويلي نفسه قاطعاً بحتمية أَنْ تكون جملة النعت نكرة؛ فليس لها أَنْ توصِف إلّا النكرة (ابن الحاجب، 1980، يُنظر: 256)، فحكمها أَنْ تمتلك الصلاحية للتأويل بالمفرد، وهذا ما يمنحها القابلية للتخلّي عن هيأتها الفعلية؛ لتأدية الوظيفة النيابية عن المفرد.

وليت شعري كيف يكون الحديث الذي يمثله الفعل نكرةً؟ أم كيف يكون معرفةً؟ والواقع أَنَّ التعريف والتنكير من الخصائص التي تعرض على الألفاظ المفردة في مرحلة الاشارة الوضعية، في حين أَنَّ الكلام كله الآن في مرحلة متأخّرة عن الدلالة الوضعية وهو تشكّل الجملة؛ أي في الدلالة التركيبية السياقية، وهذا الأمر قد كان مستبعداً عند الرضي حيث حاكم المسألة محاكمة الواقعية اللغوية، معتمداً على بعض الثوابت العقلية عندما ذكر أَنَّ التعريف والتنكير من عوارض الذات، فكيف توصف الجملة بهما؟، ولّما لم تكن الجملة ذاتاً كيف يُعرض عليها التعريف والتنكير؟؛ ومن هنا فقد حسم الجدال بالمسألة في توجيه القاعدة النحوية التي ترى انبغاء التوافق بين النعت والمنعوت في التعريف والتنكير بالنعت المفرد لا الاسنادي (الاستراباذي، 1975، يُنظر: 2/ 298)؛ ولذا يرى وجوب تأويلها بالنكرة حين يكون منعوتها نكرة للمناسبة بينهما(الاستراباذي، 1975، يُنظر: 2/ 298).

جدلية الجمع الدلالي بين المؤول والمؤول إليه

يفترض النحاة في مثل قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأعراف: 23)، حيث جاءت جملة (**صدقوا**) صفةً للاسم النكرة (**رجال**)

أَنْ يُصار إلى تأويل جملة النعت (**صدقوا**) بالمشتق النكرة المناسب (**صادقون**) كي ينسجم الأمر من خلال التأويل مع ما قعّدوا له، حين ذهبوا إلى أَنَّ جملة النعت إِنَّما هي في موقع المفرد، ولها وظيفة المفرد من حيث الاعراب، وعليه ينبغي تقدير اسم فاعل بدلاً من الفعل (ابن يعيش، 2001، يُنظر: 2/ 243)، وتكون هذه الجملة المؤولة بالمفرد نعتاً لـ(**رجال**)؛ وأمَّا لماذا اللجوء إلى هذا التأويل الافرادي؟؛ فلأنّ(البسيط أول، والمركب ثانٍ، فإذا استقلّ المعنى بالاسم المفرد ثُمّ وقع موقعه الجملة، فالاسم المفرد هو الأصل والجملة فرع عليه. ونظير ذلك في الشريعة شهادة المرأتين فرع على شهادة الرجل) (ابن يعيش، 2001، يُنظر: 2/ 243).

وأرى من المناسب مناقشة المسألة في ضوء آليات التحوّل الزمني، فأقول:

1 – إِنَّ التأويل حمولة زائدة على النصوص الاعتباريّة، فضلاً عن النص القرآني، فالتمسّك بفكرة التأويل بالمشتق أو بالاسم النكرة تُقصر الطرق على النحاة للبحث عن البدائل، ولا مانع من البحث عن البدائل لكن لا بنحو التأويل ذي الاستدلال الواهي، وإنَّما على نحو التضحية بأحد مدلولي الفعل وهو الزمن ليدلّ على الحدث أو على الحدث المجرد من الزمن؛ فيؤدّي بذلك الوصف المحض بعيداً عن التزمين، والقول بالتحوّل الفعلي أو التخلّي الزمني خير من القول بالتأويل.

2 – كما أَنَّ التأويل سيكون ناقلاً لدلالة الفعل المتضمنة للحدوث والتجدّد إلى الدلالة الاسمية ذات الثبوت والدوام، فلو كان الأمر بين الفعل والاسم سيان لكانت دلالتهما الزمنية واحدة وما احتجنا إلى التفريق النحوي والصرفي، ولو كانت واحدة لما وردا في نصوص قرآنية متغايرين في تركيب سياقي واحد بوساطة العطف، والعطف يقتضي التغاير، وكما في قوله تعالى: ﴿**وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ**﴾ (الأعراف: 193)، وقد ناسب الفعل الكلام لاشتماله على حالة التجدّد الحدوثي؛ فجاء معبراً عنه بالصيغة الفعلية، بينما ناسب

الصمت حالة الثبوت الاستمراري فجاء معبراً عنه بالصيغة الاسمية (السامرائي، 2007، يُنظَر: 163)، ولو كانا بدلالةٍ واحدة لما جاءا بصيغتين مختلفتين، ومن هنا فالمناسب في المقام الاعتماد على فكرة الانزياح ليكون التوجيه النحوي فيها أَنَّ وجود الفعل في أسلوب وصفي اقتضى أَنْ يكون دالاً على الثبوت والدوام تأديةً للوظيفة الوصفية ذات المعنى المشار إليه.

3 – وعلى فرض التسليم الجدلي أَنَّ جملة الوصف قد تحولت عدولاً إلى المعنى الافرادي تأويلاً لا حقيقة وتقديراً لا واقعاً، فثمة ظواهر نحوية مشابهة يمكن أن تكون أصولاً تمثيلية للتحول الواقعي أو العدول شبه التام بين المؤول والمؤول إليه، ولا يُمنع أحد من التمثيل ما دام ابن يعيش قد فتح بابه حين مثل بشهادة المرأتين لإثبات الأصل الإفرادي لجملة الوصف، ولعلَّ من هذه الظواهر هي المصدر المؤول الذي صار له محل من الاعراب على الرغم من جمليته، وقد أُستعمل في كلام العرب وفي أشعارهم، وفي النصوص القرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 184) فقد أُعربت كلمة (**خير**) خبراً للمصدر المؤول الذي صار مبتدأً لها، فعومل معاملة الكلمة المفردة ولم يُراعَ كونه جملةً، ومن الظواهر التحوّلية قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾، (التوبة: 3) فقد وردت كلمة(**رسوله**) معطوفة بالواو على الابتداء ذي الوجود الاعتباري لا الحقيقي في الجملة؛ وذلك لأنَّ (**أَنَّ**) واسمها في موضع رفع بالابتداء عند الكسائي (ت189هـ) (ابن هشام، يُنظَر: 1/ 358)، وهذا الأمر لا يتحقَّق مع الوجهة التأويلية التي رسموها لجملة الوصف؛ لأنَّ العطف سيفقد قيمته التفسيرية التغايرية التي هي أساس استعماله، ويصعب حينها التمييز بين مدلول المعطوف والمعطوف عليه؛ لاتّحاد الدلالة التأويلية بينهما، ويتعسّر تحديد الفارق بينهما ما داما متّحدين، وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (الأنعام: 95)، فلقد

ناســب النصّ الشريف بين مدلول المعطوف عليه وهو الفعل(**يخرج**) مع الحي ذي الطبيعة المتجدّدة والمتغيّرة، وناســب بين المعطوف وهو المشتق(**مخرج**) مع الميِّت ذي الطبيعة الهامدة والثابتة (الســامرائي، 2007، يُنظَر: 163) وهذا المعنى لم يكن ليُفهم لولا التغاير بين الصيغتين الصرفيتين، وسنفقد هذا التنّوع أَو التقابل الدلالي العلائقي لو صار الفعل مؤولاً بالمشتق.

2 – ينبغي أَنْ تكون الجملة خبريّة:

لَمَّا كانت جملة النعت نافذة يطلّ بها المتلقّي على الاســم النكرة الدال على العموم الانكاري، فيجد بها بغيته من الوقوف على تقييد الاسم وتحديده أو تخصيصه بجملة النعت، كما وتكون ســبباً في تعريفه وتبيينه عمّا ســواه لدى عموم الســامعين، ومن هنا فقد اشــترط علماء النحو أَنْ تكون هذه الجملة خبريّة تحقّقتْ لها نســبة خارجية موجودة توصف بصدق أَو كذب، فنســبتها متحقّقة سلفاً، خلافاً للجملة الانشائية التي ليس لها نســبة وجوديّة منجَزة قبل مرحلــة التلفّظ، بل يكون اللفظ هو الرحم الذي يولدها؛ لذا فليس لها نســبة خارجية يحكم عليها بصدق أو كذب، فـ(الغرض من النعت تمييز المنعوت للمخاطب، ولا يميّز له إلا بما هو معلوم عنده قبل الخطاب، والانشائية ليست كذلك؛ لأنّ مدلولها لا يحصل إلا بها) (الصبّان، يُنظَر: 1/ 310).

أَمَّــا إذا ورد ما يكون نعتاً بجملة الطلب فتقدَّر الصفة بالمفرد(القول)، ولا تكون جملــة الطلب نعتاً؛ للامتناع المذكور؛ ولمجاراة القاعــدة النحويَّة التي قيَّدت الجملة بالخبريّة حصراً، كما في قول الشاعر:

حتَّى إذا جَنَّ الظلامُ واختلَطْ جَاءوا بَمذْقٍ هلْ رأيتَ الذئبَ قطْ؟

(ابن عقيل، 1964، يُنظر: 3/ 195).

حيث جــاءت الجملــة الطلبيّــة الانجازية (هــل رأيت الذئب قــط؟) صفةً

لكلمة(مذق) فأُوّلت عندهم تأويلاً تعسّـفياً كما يبدو قولهم فيه: جاءوا بمذقٍ مقولٍ فيه هل رأيت الذئب قط؟.

وهنا أَودّ مناقشـة المسألة في ضوء ظاهرة التحوّل أو الانزياح، فأقول: عندما يرد خلاف نحويّ في مسـائل معينة أو ظواهر لغوية تقبل النقاش تكون الدلالة العرفية الاسـتعمالية هي الحكم الذي يفصل بين تلكم الخصومة؛ فالاستعمال القرآني وغير القرآني يتوسّع في رسم ملامح الجملة الوصفية عندما يسمح للجمل المنفية كي تؤدّي الغرض من الوصف، وكما في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾، (النور: 37) ومنه أيضاً: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْـقِي الْحَرْثَ﴾ (البقرة: 71)، فقد وردت جملتا (لا تلهيهم، ولا تسـقي الحـرث) نعتاً لنكرتين مع كونها منفيتين، وهذا الأمر ليس ممنوعاً استعمالياً ما دام ينسجم مع السليقة والذوق العرفييّن، كما سـجّلت ظاهرة العدول الانزياحي من الخبر إلى الانشـاء واحدة من أكثـر أنواع التمثلات البلاغية التي تزيد النصوص جمالاً ورونقاً وتحسـيناً، وهو ما يمكن أن ينسجم مع ما يعرف في حقل التداولية بالاستلزام الحواري الكرايسي حين ينتقل المتكلم من اسـتراتيجية التصريح إلى اسـتراتيجية التلميح لبيان مقصوده، أو يستبدل أسـلوباً ما بأسلوب آخر عندما يكون مبدأ التعاون حاضراً بين المتخاطبين، فلا يُشكّ أَنَّ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 183) مثّل فعلاً كلامياً غير مباشر، فهو فعل انجازي جيء به لاثبات وجوب الصوم في عهدة المكلّفين، لكنّه عُدل عن الانشاء التصريحي واستُعمل الخبر بوصفه استراتيجية غير مباشرة؛ للتعبير عن الحكم الشرعي عدولاً عن الأسـلوب الانشـائي وهذا الأمر بدا مهيمناً على كثير من الأحكام الشرعية في القرآن الكريـم، فإن كان العدول المذكـور قد صار ظاهرةً؛ فلـمَ لا يكون النعت بالجملة الانشـائية من باب العدول من الإنشاء إلى الخبر مع أَنَّ هذا النوع من النعت لم يرد في النصوص القرآنية لكنَّ الاستعمال لا يمنعه، فقولك:

– التقيتُ بصديقٍ هل عرفتَه؟

– جاءنا ضيفٌ أكْرِمْه.

أسلوب لا يأباه الاســتعمال، ولا تمجّه الأسماع، ولا يمنعه التأويل الذي مارسه النحاة مع جملة النعت الخبرية، فلنا أنْ نؤول فنقول:

– التقيتُ بصديقٍ معروفٍ.

– جاءنا ضيفٌ مُكرَمٌ.

ولولا اشتراطهم أَنْ يكون الوصف المؤول مشتقّاً من الصيغة الفعلية نفسها لجاز أَنْ نؤول جملة النهي الطلبي كذلك ولكن بصيغة تُضادّ الصيغة الفعلية؛ لأنَّ التأويل بها يجعل الكلام معكوساً، فقولك:

– أدعوكَ إلى نزهةٍ لا ترفضْها، فمثْلُها لا يُرفض.

تعني – بعد ربط السياق الكلامي بالمقامي الحالي، – أَنَّ المتكلِّم في مقام بيان جمال النزهة وامتاعها، بقرينة (**فمثلها لا يُرفض**) التي تشــير إلى المعنى الجمالي والامتاعي لهذه النزهة، فهو أراد القول:

– أدعوكَ إلى نزهةٍ مقبولةٍ أو ممتعةٍ.

وما يؤيد هذا التوجه أَنَّ ابن يعيش قد أجاز أَنْ تأتي الجملة الشرطية نعتاً، فلك أن تقول: مررت برجلٍ إِنْ تُكرمْه يُكرمْكَ (ابن يعيش، 2001، 2/ 241).

3 – اشترطوا أَنْ تتضمَّن الجملة الوصفية على عائد يعود على المنعوت:

إمَّا أن يكون موجوداً كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إلى اللهِ﴾ (البقرة: 281)، أَو مقدَّراً كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾(البقرة: 48)، فالعائد مقدَّر بمعنى (فيه) (الصبّان، يُنظَر: 3/ 92).

ومع هــذا التأويل الافرادي الممنوح لجملة الوصف فهي – عند بعض المحدثين – لا تنفك عن التمسّك بزمنيتها (الجواري، 1984، يُنظر: 4)، (عبد الحميد، 2006، يُنظَــر: 83)عند تحوّلها الافرادي التأويلي، ولعلَّ البعــد الزمني لجملة النعت لم يكن حاضراً عنــد متقدمي النحاة لا لغفلتهم عن ذكره، بل لتســليمهم أَنَّ الزمن لصيق للصيغة الصرفية فلا تعدوه حتى لو كانت تابعةً، أو ليست مقصودةً في الكلام، وعند اســتنطاق الواقع اللغوي للمســألة في ضوء التحوّل الزمني، يُنبيك أَنّه قد استغنى استغناءً شبه تامٍّ عن الدلالة الزمنية؛ لأَنَّ الزمن من مداليل الأفعال لا الأسماء، ولعلَّ هذا الأمر هو الذي أَردنا أَنْ نشــير إليه هنا وهو الجزم بأنَّ الجملة الفعلية الوصفية لا تنطوي على معنى الزمن ووظيفتها هي الدلالة على الحدث المجرد ممّا سواه، لكن لا على نحو التأويل الاسمي المزعوم، بل على نحو الخضوع التّام للفضاء السياقي لأداء الوظيفة الوصفية فقط، لا ســيما أَنَّ الزمن الصرفي الــذي قرّره المتقدّمون من النحاة للأفعال ليس دقيقاً بل الزمن من وظائف الســياق جملــة وتفصيلاً وإن كان الفعل يتزمن صرفياً فبمعناه العام غير المحدّد وحين يغدو في البيئة الســياقية تعطيه الزمن المقرّر نحوياً، بــل قد يُجبر في أحايين كثيرة على أَنْ يدلّ على الحدث المجرد، ثمّ يُلوى عنقه حين يجيء واصفاً للنكرة فيتحصّل منه على دلالات ثلاث:

1 – الدلالة على الثبوت والدوام بعد الهيمنة الوصفية على دلالته الصرفية، والتي أخرجت الزمن عن دائرة الاستعمال السياقي.

2 – الدلالة على الثبوت والدوام الوصفي.

3 – ولكي يتحقّق الفرق بينه وبين المصدر؛ لأنَّ المصدر يدل على الحدث المجرد، والفعل بلا زمن يشــابه المصدر، فتأتي الدلالة الوصفية ليكون الفعل في بيئته الجديدة دالاً على موصوف بالحدث، لا على نســبة ذلك الحدث إلى فاعل ما، ضرورة أَنَّ هذه النســبة إلى الفاعل المعيّن مــن دواعي القول بالزمن، إذ – لا

شــكَّ – من تأدية الفاعل للحدث في زمنٍ ما، والحال أَنَّ الزمن قد خرج عن دائرة المدلولية الفعلية، فيكون الفاعل هنا موصوفاً بالحدث. فدراسة الفكرة الزمنية في مرحلة مبكرة على مرحلة الاســتعمال هو تحجيم لهذه الدلالة المهمة في الدرس النحوي؛ ذلك لأنَّ فكرة الزمن مدلول ذاتي للفعل يوجد بوجوده وينعدم بانعدامه أسطورة فنّدتها العلاقات السياقية والقرائن النحوية، فدلالة الفعــل بمادته على الحدث المجــرد وبهيأته على الزمن الــصرفي فكرة آمن بها المتقدِّمون وجعلــوا الزمن حبيس الصيغ الصرفية للأفعــال، وعليه فالزمن الماضي مدلول صيغة (فعل) والزمن الحاضر والمستقبل مدلول صيغة (يفعل) والزمن المســتقبل مدلول صيغة (افعل) (ابن يعيش، 2001، يُنظَر: 4/ 207)، ولم تلقَ قبولاً عند المتأخّرين (المخزومي، 2005، يُنظر: 124)، (الســامرائي، 1980، يُنظــر: 24)، (المنصوري، 2002، يُنظــر: 52)، (الملاخ، 2009، يُنظَر: 322)، بعدما اصطدت بنظرية القرائن الســياقية بمثل قوله تعالى متحدثاً عن مشهدٍ من مشاهد القيامة: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾، (البقرة: 166) فالنصّ الشريف كما هو واضح تتهافت فيه نظرية التماســك الدلالي بين الزمن والصيغة الصرفية؛ لأن حديث القيامة جاء بخطاب ماضوي.

وهذا ما سيتضح في جملة النعت التي لا تخرج عن تقعيدهم الدلالي زمناً وحدثاً، وسيتبين أَنَّ الزمن فيها سيكون أكثر انفلاتاَ من غيرها من الصيغ لا لتأويلها بالمفرد بل لتضامها مع الموصوف تخصيصاً وتبييناً ما يتطلّب ذلك في معظم الأحيان الخروج عن البيئة الفعلية التجدّدية إلى البيئة الوصفية الاستمرارية، فالاستمرار وإن كان من لوازم الصيغ الوصفية المشــتقة ما عدا المصدر والفعل كاسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة والصفة المشبهة، إلّا أَنَّ الصيغ الفعلية قد تدلّ على الاستمرار لا سيما صيغة الفعل المضارع التي ناسبت – كما يرى الرضي – الجامد والصفة لصلاحيتها

على الاســتمرار للتعبير عن العادة الدائمة (الاستراباذي، 1975، يُنظر: 2/ 44)، أو الطبيعة التي يتســع بها الوصف بلا تقييدٍ زماني (مصطفــى، 1938، يُنظَر: 136)، وهكذا بالنسبة لابن هشام الذي يرى استمرارية الزمن في صيغة المضارع حين تبيّن عادةً أو صفةً لازمة لا تنفكّ فتقول: فلانٌ يُقــري الضيفَ، ويصنعُ الجميلَ، فتريد أَنَّ دأبه هذا(ابن هشــام، 1404هـ، يُنظر: 1/ 138)، عند اتحاد الصفة مع موصوفها وتصبح للموصوف بمثابة الغريزة (أنيــس، 2003، يُنظر: 145)، بل يمكن القول إِنَّهما يصبحان كالكلمة الواحدة شــأنهما شــأن الصلة والموصول، فما المانع من هذه الوجهــة ما دام كلٌّ من الجملتين غرضها تبييني، والأمر كما يبدو ليس مقصوراً على وصف الذات الإلهية المقدســة بل هو شامل لكل موصوف تكون الصفة ملازمة له لزوماً يرفض التزمين حين صار الفعل منقاداً لديمومة الصفة في موصوفها، فتشمل صيغة (**يفعل**) حين تعرب عن حدث وقع في زمن ما لكنه اســتمرّ كانه يقع في كل زمان كقولهم: تلهو وتضحك والزمان يســير؟ (السامرائي، 1980، يُنظَر: 32)، كما يتضمَّن صيغة الفعل الماضي المستعملة في التعظيم أو الدعاء ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾، (الفرقان: 1) ومنه أيضاً: ﴿عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾، (التوبة: 43)، (عبد القادر، 1957، يُنظر: 72) بل يشمل كذلك الأمثال التي قيلت في الماضي مؤدّية قاعدة عامة صالحة للانطباق على مصاديقها مــن دون أَنْ تتحدّد بفضاء زمني معين، ويمكن أَنْ يقال: إِنَّهــا جامدة تأبى الدخول في التأطير الزمني المعــين، ولعلَّ المتكلّم لا يعدو الحقيقة حين يقول: بخلوّها من الدلالة تماماً لما تتضمّنه من معنى واحد يقبل الانطباق على المماثل، كمثل قولهم: اســتنوق الجمل، و بلغ السيل الزبى (بدري، 1404هـ، يُنظَر: 139)، وقــد تدخل صيغة المضارع في دائرة العلاقات المعبّرة عن الحقائق الثابتة غير المنظــور لها بوقتٍ أو مدّة معينــة، بل كل الذي تفيده الإعــراب عن ثبوت الصفة للموصــوف ثبوتاً غير قابل للانفكاك أو الانســلاخ عن الموصوف، منها: الأرض

تدورُ حولَ الشمس، كلُّ حيٍّ يموتُ (المنصوري، 2002، يُنظَر: 37)، (عبد الباقي، يُنظر: 22)، وهذه الأمثلة وغيرها كما يبدو تفيد ثبوت الحدث لا ثبوت زمانه (رشيد، 2008، يُنظَر: 68)، ويمكن الاستشهاد ببعض النصوص الشريفة الدالة على ذلك، مع أخذ النظر أنَّ لفظ الجلالة وإن كان معرفة لكن الجمل التي تأتي بعده تكون صفاتاً لا أحوالاً:

- قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (الإخلاص: 1 - 3)، وصفتْ السورة المباركة الباري تعالى بجملتين فعليتين منفيتين بغية نفي ما يطرأ على النّاس من مراحل تكوينية كالولادة والإيلاد عنه تبارك وتقدّس؛ كونه تعالى (لم يلد ولم يولد؛ لأنَّه ليس شيءٌ يولد إلّا سيموت، وليس شيءٌ سيموت إلّا سيورَّث، وإنَّ الله تعالى لا يموت ولا يورَّث) (القرطبي، 2006: 22/ 560).

- قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: 249)، فقد حرص المتكلّمون في هذا النصّ على إثارة المحفِّز التعبوي لدى المخاطبين، وهذا المعنى يتحقّق حين ترسم للمتلقّي الصورة النهضوية استمداداً من الواقع، بدلاً من قولك: إنّنا سنغلبهم أو ستغلبونهم، كي تكون هذه الصورة ميزاناً لمصاديق تحقَّقت وتتحقَّق بكم وستتحقّق فيما بعد حين يتوفَّر شرطا الصبر والعون الإلهي، من خلال تخطّي البع الزمني.

كما أَنَّهم (لم يقولوا: يمكن أَنْ تغلب الفئة القليلة الفئة الكثيرة بإذن الله، بل قالوا: كم من فئة(الخ)، أخذاً بالواقع في الاحتجاج بإراءة المصداق ليكون أقنع للخصم) (الطباطبائي، 1997: 2/ 297).

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (البروج: 11)، أمَّا هذا النصُّ الشريف فصفة(تجري) المضارعية لـ(جنَّات) دالّة على الدوام الأبدي؛ للتناسب الذي عليه الثابت العقدي في الشريعة

الدينية القائم على الخلود غير المنتهي لحياتي الجنّة والنّار.

– قال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً﴾ (البينة: 2)، يتضمّن الفعل (يتلو) الدأب على التلاوة والاستمرارية، فيكون الوصف ديدنه(صلّى الله عليه وآله).

وهنا أودّ الإشـــارة إلى معنى الدوام والاستمرارية في موضوع الجملة الوصفية، إذ يعتمد طول أمـــده وقصره على حقيقة الموصوف، فـــإن كان الموصوف مما يتزمّن كالمخلوقات الحيَّة وغير الحيَّة يكون معنى الدوام والثبوت والاســـتمرار بحسبها لا بحسب المعنى الدقيق لهذه الجهات الوصفية المشـــعرة بعدم الانقطاع؛ وأَمَّا إذا كان الموصوف لا يطرأ عليه الزمن كالذات المقدّســـة فيكون معنى الدوام والاســـتمرار والثبوت ممّا يتناســـب معها لتدلّ على السرمدية الإلهية الجامعة لمعنى الأزل و الأبد، والتي تعني الديمومة وعـــدم الانقطاع (الطريحي، 1408هـــ، يُنظر: 2/ 367)، أي يمكن القول بعبارة مختصرة: إِنَّ الثبوت والدوام بلحاظ الموصوف لا الصفة.

2 – جملة خبر المبتدأ الفعلية:

فقد اشترطوا فيها أَنْ تتضمَّن على عائد يربطها بالمبتدأ، ولا يشترط فيها أَنْ تكون خبرية ما دامت عمدة في الكلام فلا مانع أن تكون إنشائية (الصبّان، يُنظَر: 1/ 310)، خلافاً لجملة النعت التي اشـــترطوا خبريتها كما تقدّم، كقولك: محمدٌ يحبُّ مساعدةَ الآخرينَ، أَو: محمدٌ يحبُّه الآخرون.

ومما يضاف إلى الجملة الاســـمية التي يكون خبرها جملـــة فعلية الجملة التي تقع خبراً لـ (**كان**) الناقصة، أو(**إنَّ**) التوكيدية

ومن أمثلته:

– قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: 53) تزفّ الآية بشارة للمسرفين على أنفسهم، أَنَّ ربَّكم لا يعجزه أَنْ يغفر ذنوبكم كلّها، (فالآية

محمولــة على عمومها، فالله يغفر جميع الذنوب للتائــب لامحالة) (الطبرسي، 2006: 8/ 309) وهــي وصف محض يخلو من البعد الزمني بقرينــة المقابلة بين قوله:(يغفر الذنــوب) وقوله:(هو الغفور الرحيم) حيث توحي المقابلة بالتوافق الثبوتي له تعالى حين(وصف نفسه كونه غفوراً، ولفظ الغفور يفيد المبالغة) (الرازي، 1981: 27/ 5).

– قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، (الروم: 9) ما يرجّح جانب الوصفية في سياق الآية الشريفة أمران:

1 – الفعل(**كان**) عند اسناده إلى الذات المقدّسة لا يؤدّي سوى الاتصاف بالحدث الخالي مما ســواه كما هو معروف، فيدلّ على الدوام بعد افراغه من معنى الزمن (المطلبي، 1986: 190).

2 – الظلم من الصفات المســلوبة عن الذات الإلهية، فلا ظلم في ســاحة القدس الإلهي.

– قال تعالى: ﴿فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (آل عمران: 106)، حيث يتحقّق دوام العذاب واستمراريته في القيامة، بدوام الكفر واستمراريته والموت عليه.

– قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنسَـانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن 1 – 4). وفي الآية الشريفة، تعــدّد الوصف بلا عاطف في الخبر مع كونه جملة (ابن هشــام، 1404هـــ، يُنظر: 2/ 385)، ومن الواضح أَنَّ صفتي العلــم والخالقية لله تعإلى مما لا تــزولا عنه تعإلى؛ لِمَا ثبــت في المجال العقدي أنَّ صفــات الله تعإلى هي عين الذات الإلهية، وليســت زائدة عليها (المازندراني، 2000، يُنظَــر: 3/ 250)، فما دامت عين الذات فدوام الصفة بدوام الذات، وهذا ما يكفينا استدلالاً على المطلب.

3 – جملة الحال

الحال في اصطلاح النحاة:

وصفٌ فضلةٌ منتَصِــبُ مفهمُ في حالِ كفرداً أذهبُ (الأشــموني، 1944، يُنظَر: 3/ 5)

واشــترطوا في جملة الحال أَنْ تكون (خبرية خالية من دليل اســتقبال أو تعجّب، فــلا تقع جملةً طلبيّة ولا تعجّبية، ولا ذات (الســين) أو(ســوف) أو (لن) أو(لا)) (الســيوطي، 1998: 2/ 247)، كما يشترط فيها التوفّر على رابط يدلّ بها على صاحب الحال، وهذا الرابط قد يكون ضميراً ظاهراً، كما في قوله تعالى:

– قال تعالى: ﴿وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (يوسف: 16)

– قــال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ (التوبة: 67).

– قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (التوبة: 71).

– قال تعالى: ﴿اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة: 15).

– قــال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ (النساء: 90).

فقد صارت الواوات المتّصلة بجملة الحال الفعلية والتي هي فواعل روابط معنوية تدلّ على صاحب الحال الســابق لها، ما عدا الآية الأخيرة، فرابطها هو الضمير(هم) الواقع مضافاً إليه؛ كونه صار لاحقةً للاسم(صدور).

كما يمكن أَنْ يكون ضميراً مستتراً كالآية الشريفة:

– قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾ (الجمعة: 5).

أو هو عبارة عن واو تســبق الجملة تســمّى بواو الابتــداء أو الواو الحالية (ابن عقيل، 1964، يُنظَر: 2/ 278)، سواء كانت الجملة مثبتة كالنصّ الآتي:

– قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾ (البقرة: 28).

أو منفيةً كما في الآيتين:

– قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾(الروم: 9).

– قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ (الرحمن: 19 – 20).

ومع هذا الاستشهاد القرآني للمسألة لكن الذي يبدو أَنَّ جملة الحال ممّا تتخلّى سريعاً في كثير من الأحيان، عن صاحبها كما في بعض النصص القرآنية الآنفة، فقولك: جلستُ أَدرسُ لوحدي، لا تعني أو تنبئ أَنَّ الدراسة حالة مستدامة للمتكلِّم إلى الحدّ الذي يصعب زوالها عنه، بل هي حالة وقتية تخضع لما عليه صاحب الحال من عمل أو ظروف؛ ومن هنا سميت حالاً لتحوّلها وتغيّرها؛ ولذا فجملة الحال ألصق بالفكرة الزمنية من جمل الوصف لافتقارها –في الجملة – إلى الثبوت أو الدوام، وهذا المعنى هو الذي يرجّح القول بتصنيف الجمل اللاحقة للذات المقدسة على أَنّها صفات ولا تكون أحوالاً؛ لأنَّ الحال لا تثبت على وتيرة واحدة وليست لصيقة بصاحبها لصوقاً راسخاً شأنها شأن الصفات الالهية التي هي عين ذاته تعالى، فكيف تتصف بها ذات الله التي لا تتبدل ولا تتغير، ولعلَّ هذا المعنى هو ما يميز جملة النعت عن جملة الحال، لا على أساس تنكير الموصوف وتعريف صاحب الحال؛ لأنَّ الرؤية النحوية ترى أَنَّ الاسم المعرّف بالألف واللام إِنْ كانت ألفه ولامه تفيد الجنس أو الطبيعة العامة، فلا مانع أَنْ يُوصف سواء بالوصف الافرادي أو الجملي، وهذا المعنى يتجلّى بوضوح في الآيتين السالفتين اللتين تصف المؤمنين والمؤمنات في سياق قرآني، وأخرى تصف المنافقين والمنافقات في سياق تقابلي آخر، كونها تتحدث عن مؤمنين أو منافقين معهودين معينين بل كلامها يقع في الطبيعة الذاتية التي يكون عليها كلُّ من ينتمي إلى هاتين الفئتين المتقابلتين تقابل الضدين.

الخاتمة:

بعد هذا التطواف البحثي في موضوعة التحوّل الزمني في الجملة الوصفية عند النصوص القرآنية، أضع تلخيصاً لما رُصِد معه من أحكام أو إثارات أو نكات وظواهر لغوية، والتي يمكن إجمالها على النحو الآتي:

- الاسناد وسيلة للوصول إلى المعنى؛ يُبتغى به تحديد مسار العملية التواصلية سواء به أم بدونه، فلا مانع من التضحية به من حين يصل المعنى بتمامه.
- النعت بنوعيه المفرد والاسنادي وظيفته آلية يحدِّدها الموصوف.
- التأويل الافرداي لجملة الوصف حمولة زائدة تثقل الغاية التواصلية؛ ولذا فالتحوّل الزمني للجملة يكفينا مؤونة التأويل بالمشتقّ، لا سيَّما أَنَّ التأويل سيفقدنا التمييز بين دلالة الثبوت الاسمية ودلالة الحدوث الفعلية، وهذا ما لم يقبله نحويّ؛ لأنّها متغايران استعمالاً في العطف وغيره، كما في النصّ الشريف: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ، وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾. (الكافرون: 2 – 6).
- القول بالتحوّل الانزياحي الزمني للجملة الوصفية ممّا يتماشى مع اللسانيات المعاصرة.
- قد يكون النعت بالجملة الانشائية تحوّلاً أو عدولاً من الانشاء إلى الخبر، فلمَ لا يجوز وقد أُجيز العدول من الخبر إلى الانشاء ما دام لا يخالف السليقة.
- الزمن فكرة عصيَّة على حبسها بقوالب صرفية ضيقة.
- الدوام والاستمرار والثبوت والحدوث والتجدّد، معانٍ تتبع الموصوف لا الصفة.

المصادر:

- القرآن الكريم.
- ابــن الحاجب، أبــو عمرو عثمان بن الحاجــب النحوي (ت646هـــ). شرح الوافية نظم الكافية، دراســة وتحقيق: الدكتور موســى بنّاي علوان العليلي،(د.ط)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، 1400هـ - 1980م.
- ابن عقيل، عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، (ت769هـ). شرح بن عقيل، ط14، مطبعة السعادة، مصر، 1384هـ - 1964م.
- ابن هشام. أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري المصري (ت761هـ). أوضح المســالك إلى ألفين ابن مالك، ومعه كتاب عُدَّة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، محمد محيي الدين عبد الحميد،(د.ط)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت،(د.ت).
- ابن هشــام، عبد الله بن يوسف بن هشــام الأنصاري المصري (ت761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد،(د. ط)، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، مطبعة المدني، القاهرة، 1404هـ.
- ابن يعيش (ت643هـ)، شرح المفصل، قدّم له ووضع هوامشــه وفهارســه الدكتور أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،1422ه - 2001م.
- أنيس، د. إبراهيم. من أسرار اللغة، ط8، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003م.
- الأســترابادي، محمد بن أحمد (ت 686 هـ). شرح كافية ابــن الحاجب، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، (د.ط)، نشر مؤسسة الصادق، طهران، 1395هـ - 1975م.
- الأشــموني، نور الدين علي بن محمد بن عيســى. شرح الأشــموني على ألفية ابن مالك، حقّقه وشرح شواهده: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1363هـ - 1944م.
- بدري. كــمال إبراهيم. الزمن في النحو العربي، ط1، دار أميــة للنشر والتوزيع، الرياض، 1404هـ.
- الجواري، د. أحمد عبد الستار. الوصف بالجملة، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج 4، مجلد 25، 1405هـ - 1984م.
- الرازي، فخــر الدين محمد بن ضياء الدين (ت604هـ)، التفســير الكبير، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت -لبنان، 1401هـ - 1981م.
- رشــيد. د. كمال رشــيد. الزمن النحوي في اللغة العربيــة، (د.ط)، دار عالم الثقافة للنشر

والتوزيع، عمان – الأردن، 1428 – 2008.

– الزمخشري، محمود بن عمر(ت538هـ)، الكشّـاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحـقيق وتعليق ودراسة: الشـيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد عوض، شارك في تحقيقه الأسـتاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418هـ – 1998م.

– السـامرائي، د. إبراهيم. الفعل زمانه وأبنيته، ط2، مؤسسـة الرسـالة، بيروت– لبنان، 1400هـ – 1980م.

– السـامرائي، د. فاضل صالح. الجملة العربية تأليفها وأقسـامها، ط2، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمّان – الأردن، 2007م – 1427هـ.

– سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ)، كتاب سيبويه، تحـ:عبد السلام محمد هارون، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1425هـ – 2004م.

– السـيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ). همـع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، تحـ: أحمد شـمس الديـن،ط1، دار الكتب العلميـة، بيروت–لبنان، 1418ه – 1998م.

– الصبّان، محمد بن علي(ت1206هـ). حاشـية الصبّان، شرح الأشـموني لألفية ابن مالك ومع شرح الشواهد للعيني، تحـ: طه عبد الرؤوف سعد،(د.ط)، المكتبة الموفقية، القاهرة، (د.ت)

– الطباطبائي، محمد حسـين. الميزان في تفسـير القرآن، ط1، منشـورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، 1417هـ – 1997م.

– الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت 548هـ). مجمع البيان في تفسير القرآن، ط1، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، 1427هـ – 2006م.

– الطريحي، فخر الدين (ت1085هـ). مجمع البحرين، تحـ: السيد أحمد الحسيني، ط2، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، 1408هـ.

– القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت671هـ). الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمّنه من السـنّة وآي القرآن، تحـ: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك في تحقيق هذا الجزء: محمد رضوان عرقسـوسي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1427هـ – 2006م.

– المازندراني، مولى محمـد صالح (ت1081هـ). شرح أصول الكافي، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1421هـ – 2000م.

- المخزومي، د. مهدي. في النحـــو العربي قواعد وتطبيق، ط2، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان،1406هـ – 1986م.
- المخزومـــي، د. مهـــدي. في النحو العربي نقد وتوجيه، ط2، دار الشـــؤون الثقافية العامة، بغداد، 2005م.
- المطلبي، مالك يوسف. الزمن واللغة، (د.ط)،الهيأة المصرية العامة للكتاب، 1986م.
- الملاخ، محمد. الزمن في اللغة العربيـــة بنياته التركيبية والدلالية، ط1، دار الأمان، الرباط، 1430هـ – 2009م.
- المنصوري، د. علي جابر. الدلالة الزمنية في الجملة العربية، ط1، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، 2002م.
- عبـــد الباقي، د. وليد محمد. الـــدلالات الزمنية للأفعال في العربيـــة، (د.ط)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،(د.ت).
- عبد الحميد، د. ليث أســـعد. الجملة الوصفية في النحـــو العربي، ط1، دار الضياء، عمّان – الأردن، 1427هـ – 2006م.
- عبـــد القادر. حامد. معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم: 72، مجلة المجمع العلمي في القاهرة، الجزء العاشر، 1957.
- مصطفى، إبراهيم. إحياء النحو، (د.ط)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1937م.